

## المقاومة الشعبية في نابلس وريفها

### ضد الوجود الصليبي حتى عام 583هـ/1187م

د. جلال حسني سلامة

جامعة القدس المفتوحة

**ملخص:** تعالج هذه الدراسة استعدادات الصليبيين للسيطرة على الأرض المقدسة ذات الأهمية الاستراتيجية، مستغلة حالة الضعف والانقسام التي كانت تعترى العالم الإسلامي، وعدم قدرته على التصدي للمشروع الصليبي الاستيطاني وإفشاله، مما أدى إلى نزوح أعداد كبيرة من سكان هذه البلاد عن أراضيهم ومدنهم وقراهم إلى بلاد اللجوء والغربة.

ويتناول هذه البحث مشاركة أهالي نابلس وريفها مع غيرهم من سكان المدن والقرى في الدفاع عن المدينة المقدسة عندما وصلت إليها طلائع الحملة الصليبية الأولى 492هـ/1099م، ولكن استبسال هؤلاء في الدفاع عن المدينة لم يحل دون سقوط بيت المقدس بعد أربعين يوماً من الحصار وتوجيه رسائل التهديد والوعيد لحاميتها، حيث أقدموا على ارتكاب مجزرة رهيبة بحق سكانها، واستولوا على بيوتهم وأماكنهم من العقارات والأراضي الزراعية.

ويركز هذا البحث على أساليب المقاومة التي انتهجها أهالي نابلس وريفها في مواجهة الغزو الصليبي، كالجوء إلى أعمال القتل والأسر ومراقبة تحركات الجيوش الصليبية، إلى جانب إعلان العصيان المدني، كالامتناع عن الزراعة ودفع الضرائب للجانب الصليبي، ما جعل كبار الصليبيين عام 513هـ/1120م يتداعون إلى عقد مؤتمر عام في نابلس لمعالجة خطورة هذا العصيان وكيفية التغلب عليه، وكذلك الدور التعبوي الذي قام به علماء آل قدامة في قرية جماعين، وتحريض الشباب على الجهاد والنضال ضد الصليبيين، فضلاً عن إقامة مراكز للتدريب التي شكلت ذراعاً لقوات السلطان صلاح الدين الأيوبي في استرداد مدن الأرض المقدسة ومنها مدينة نابلس وريفها.

## Popular Resistance in Nablus and its Rural Areas against the Crusaders

**Abstract:** This study investigates the readiness of crusaders to dominate the holy land which has its strategic importance, imposing the weakness and break up in the Islamic world, and its nonsuccess in facing the crusaders settlement plan which resulted in emigrating a large number of people living in the cities and villages of the land and refuging to other countries.

This study illustrates the role played by the inhabitants of Nablus city and its countryside hand in hand with other resistans to defend the holy city when the first crusader campaign 1099 arrived its walls. But crusader siege constraints on the city and sending threatening letters to its protectors resulted at the end in falling. This happened after a deputation of Nablus citizens went to the crusader leader (Godfrey) and announced the surrender of the city to avoid what happened to citizens of other cities e.g. killing, expelling and expropriation of property and agricultural land.

This study emphasizes the defend methods the citizens of Nablus created to face crusader campaign such as killing , kidnapping , announcement of civil disobedience represented in not ploughing the land and planting it in addition to not paying the taxes imposed on farmers from the crusaders . More over , the responsibility of stimulating the youth to fight and defend against the crusaders wich was the role of the Qudamas in Jimma'en village . Also , they established training centers in Nablus and other cities wich became later hand (power) of sultan saladein in recapturing the cities and villages of the holy land .

#### استعدادات الصليبيين للسيطرة على الأرض المقدسة:

لم يكن الغرب الأوروبي الذي أخذ في القرن الحادي عشر الميلادي يتطّلع إلى مد نفوذه على الأماكن المسيحية المقدسة ويطمع في استراتيجية الموقع وإطلالته الواسعة على البحر الذي يربط القارات الثلاث ، آسيا وإفريقيا وأوروبا ، وغناه " بالعسل واللبن " <sup>(1)</sup> بعيداً عما كان يجري في ساحة المشرق الإسلامي من تطوّرات سياسية خطيرة ، آلت بالأمة إلى ضعف وصراع وانقسام إلى عباسيين وسلاجقة سنة في بغداد وآسيا الصغرى " تركيا اليوم " ، وفاطميين شيعة في مصر " أرض الكنانة " .

لقد وجد الغزاة الصليبيون في هذه الظروف السياسية والدينية المتقلبة فرصتهم في تحقيق مآربهم وأهدافهم وتنفيذ سياساتهم الرامية إلى تمزيق وحدة الأمة والمجتمع العربي والإسلامي وتفتيته، وإذكاء حدة الفتن والخلافات بين طوائفه ومذاهبه الدينية، وجعله عاجزاً وغير قادر على مواجهة ما يُخطط له الغزاة الصليبيون للمنطقة بعمامة وأرضنا المقدسة بخاصة، إلى درجة دعت البابا أربان الثاني <sup>(2)</sup> UrbanII في خطابه الشهير بكليرمون -جنوب فرنسا- عام 487هـ/ 1095م إلى أن يدعو المسيحيين الغربيين صراحة " أن يزحفوا على الكفار بحرب تبدأ الآن ولا تنتهي إلا بالنصر" <sup>(3)</sup>، لإحلال السلام وحماية الحجاج المسيحيين إلى الأرض المقدسة " من الخطف على يد قطاع الطرق في النهار أو اللصوص في الليل" <sup>(4)</sup> على حد زعمه.

واستمر البابا أربان الثاني UrbanII في خطابه بإطلاق عبارات التحامل على العرب والمسلمين وبعثهم بصفات الحقد والكراهية والسرقعة والاختلاس والانحطاط ، وأنهم كانوا سبباً في هدم وتدمير الكنائس والأديرة، <sup>(5)</sup> لاستنارة الغرب الأوروبي وحمله على " الاستيلاء على الأماكن المقدسة في فلسطين لتتولى الكنيسة والبابوية حمايتها وإدارتها" <sup>(6)</sup>، ووضع يده على مقدراتها وثرواتها .

وفيما يتصل بهذا الجانب - لم يخف البابا أربان الثاني UrbanII نواياه حين وجّه نداءه إلى الرأي العام الأوروبي بعمامة ، وكبار الإقطاعيين والفرسان بخاصة ، بوضع الخطط

## المقاومة الشعبية في نابلس وريفها

والترتيب من أجل تنظيم حملة صليبية وتسييرها نحو الأراضي المقدسة كقوة استعمارية بهدف تطهيرها من سكانها الشرعيين وإحلال سكان جدد محلهم يتحكمون بغلالها وثرواتها،<sup>(7)</sup> مما حدا بأحد الباحثين الغربيين المحدثين إلى وصف الهجمة الصليبية بأنها " أول تجربة في الاستعمار الغربي قامت بها الأمم الأوروبية خارج حدود بلادها لتحقيق مكاسب اقتصادية واسعة النطاق"<sup>(8)</sup>.

وعلى ضوء ذلك نستطيع القول ، إن دعوة البابوية وأركان الحكم في الغرب الأوروبي إلى حرب صليبية على الأرض المقدسة، وما أقدم عليه مقاتلوها من تعذيب وإزهاق لأرواح ومصادرة أملاك سكانها من المال والبيوت والأراضي، ومحاولة قتل روح المقاومة والتشبث بالأرض بتمزيق شملهم وإجبارهم على الهجرة واللجوء إلى البلدان المجاورة<sup>(9)</sup>، جاء تطبيقاً للسياسة التي اتبعتها منذ البداية ، وهي : " ليس هناك بلاء أشد بلاء بالمرء... من عدو يكون له بالمرصاد على الأبواب"<sup>(10)</sup>. ثم الإعلان عن إقامة كيان لاتيني غريب فوق الأرض المقدسة، وتشجيع حركة التوسع والاستيطان فيها ، كل ذلك لم يكن وليد خطاب بابوي متسرع وعفوي أمام جموع غفيرة من المسيحيين المؤيدين للمشروع الاستعماري الصليبي دون تخطيط أو دراسة .

فاجتماع كلمة الأوربيين على التوسع الاستيطاني وامتلاك أراض جديدة غنية بثمارها وغلالها وتأسيس مملكة صليبية وسط محيط عربي وإسلامي مختلف في عقيدته وتقاليدته وتفكيره قد تطلب منهم عقد اجتماعات سرية وأخرى علنية من أجل وضع خطط محكمة وترتيب منظمة ودقيقة تكفل لهم الأمن والأمان قبل أن يندفع ملوك الغرب الأوروبي وأمراؤه إلى زج خيرة قادتهم وفرسانهم وأعداد كبيرة من جنودهم ويتكبدون خسائر مالية ومادية جسيمة في مغامرة عسكرية مجهولة النتائج .

ويبدو أن حماسة الأوربيين واندفاعهم نحو التوسع والاستيطان في الأرض المقدسة في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين كانت تستند بالدرجة الأولى إلى التقارير والمعلومات التي كانوا يتلقونها تبعاً وباهتمام بالغ من خلال عيونهم من التجار والرحالة والحجاج الغربيين عن تردي الأحوال السياسية واضطرابها الناجمة عن حالة الانقسام الديني والمذهبي والطائفي التي كانت تشهدها ساحة العالم العربي والإسلامي والصراع على النفوذ والسلطة بين العباسيين والسلاجقة أتباع المذهب السني من ناحية والفاطميين أتباع المذهب الشيعي من ناحية أخرى<sup>(11)</sup>، والتي كان لها تأثيرها الكبير والمباشر في ضعف الصمود والمقاومة أمام هذه الهجمة الصليبية ، ما دفع أحد المؤرخين الغربيين الذين شهدوا وقوع المدينة المقدسة في قبضة الصليبيين عام 492هـ/1099م إلى أن يبادر بالقول : " لماذا خشيت كل هذه الأمم وهذه الممالك الهجوم على مملكة صغيرة وشعب متواضع؟ لماذا لم يجمعوا من مصر ومن فارس ومن بلاد ما بين النهرين

## د . جلال سلامة

ومن سورية مئة ألف مقاتل ، ليزحفوا بشجاعة علينا ونحن أعداءهم ، لماذا لم يدمرونا ....  
فيمحيّ ذكرنا عن وجه الأرض<sup>(12)</sup>؟ فما أشبه الأمس باليوم !

ولكن لا يعني هذا أننا نقلل من أهمية المقاومة التي أبداها سكان الأراضي المقدسة  
ومناصريهم من المجاهدين الذين هبوا من مصر وسورية والعراق وغيرها من البلدان العربية  
والإسلامية منذ البداية ، ولكنها لم تكن بالقدر الذي يعطل المشروع الصليبي، وتصون وحدة  
الأرض المقدسة مع العالم العربي والإسلامي وتجنّب السكان الأمنيين ارتكاب المحازر بحقهم  
وإرافة دمائهم أو إجبارهم على اللجوء والضياع " فيموت الكبار وينسى الصغار" – على حد زعم  
الصهاينة اليوم – بتدويهم مع أهالي البلدان المضيفة ، بعد أن تخلّت الخلافة الإسلامية في بغداد  
آنذاك عن تقديم العون والمساعدات المالية والماديّة<sup>(13)</sup> ما يضمن عفوان المقاومة ونجاحها.

### دور أهالي نابلس وريفها في الدفاع عن المدينة المقدسة :

عندما بلغت طلائع جيوش الحملة الصليبيّة الأولى – المنهكة القوى – الأراضي  
الفلسطينية بعد اجتيازها آلاف الأميال قادمة من مختلف الأقطار والبلدان الأوروبية ، وتشوب  
قادتتها الخلافات والنزاعات الداخليّة ، هجر عدد كبير من سكان المدن غير المحصنة – كما هو  
الحال مع سكان الرملة – الذين سبق مدهامة الصليبيين لمدينتهم ، ليقموا في بلاد آمنة تحيط بها  
الأسوار والقلاع،<sup>(14)</sup> وفي مواضع يسمح لهم بتوجيه ضربات موجعة بالصليبيين وبخاصة على  
رؤوس التلال والجبال ما يتيح لهم رصد تحركات الجيش الصليبي ومحاولة إعاقة سيره من خلال  
قيام مجموعات فدائية بعمليات الخطف أو القتل<sup>(15)</sup>

وعلى الرغم من أن المصادر المتوافرة لا تشير إلى هوية المشاركين في المقاومة  
والتصدي للمشروع الصليبي فلا بد أن تكون من بينهم مجموعات فدائية من مدينة نابلس  
والأرياف المحيطة بها ، وبخاصة بعد أن أدركو جديّة الصليبيين في حصار المدينة المقدسة  
والاستيلاء عليها ، وما قد ينتج عن سقوطها بالذات من تراجع كبير في روح المقاومة .

فقد هبّ مقاتلو نابلس وريفها مع غيرهم من مقاتلي المدن الأخرى في الدفاع عن المدينة  
المقدسة والمساهمة في تقوية تحصينات المدينة وأسوارها قبيل وصول الصليبيين إليها<sup>(16)</sup>،  
وللتخفيف من حصار المدينة ، فقد عمدت مجموعات منهم بالعمل خلف صفوف الغزاة ومهاجمة  
فرسانهم وجنودهم الذين اعتادوا على التجول في المناطق الريفية المجاورة للمدينة المقدسة بحثاً  
عن الطعام والمياه والأعلاف لخبولهم ودوابهم ، وكثيراً ما نجح هؤلاء "الفدائيين" في قتل وجرح  
العديد من فرسان الصليبيين وجنودهم ، ومن كان يهرب منهم – أي من الصليبيين – فإن الحظ  
قد يحالفه بالنجاة من الوقوع أسيراً بين أفراد المقاومة<sup>(17)</sup>.

## المقاومة الشعبية في نابلس وريفها

ولكن على الرغم من كل الإجراءات والتدابير العسكرية التي بذلها رجال المقاومة واستبسالهم في الدفاع عن المدينة ومحاولة تأخير سقوطها بأيدي الصليبيين إلى أطول فترة ممكنة، فإن ذلك لم يثن القوات الغازية - التي كانت تعاني من قلة عددها -<sup>(18)</sup> من مواصلة حصارها عسكرياً ، وتساندها خطة أخرى دأب عليها المستعمرون في كل زمان ومكان صليبيين كانوا إنجليز أم صهاينة تمثلت بنجاحهم في اختراق صفوف المقاومة وتجنيد عدد من السكان المحليين للاطلاع على مواطن الضعف والقوة في الجانب الإسلامي ، ولعل ذلك يعدّ في مقدمة العوامل التي سرّعت - بعد أربعين يوماً من الحصار - في اختراق أسوار المدينة المقدسة وأشدّها خطورة في إطالة عُمر الاحتلال واستعمار له للأرض.

لقد جاء استيلاء الصليبيين على المدينة المقدسة واستباحة ساحاتها وأزقتها يوم الخامس من يوليو (تموز) الثالث والعشرين من شعبان 492هـ/1099م<sup>(19)</sup>، وما نفذوه فيها من حقدهم الدفين الذي كانوا يضمرونه ، فلم يتورّعوا عن ارتكاب ، مذبحه شنيعة بحق سكانها الأمنيين والتشنيع بجنتهم ببقر البطون وتقطيع أوصالها، إلى درجة دفعت بكثير من المدافعين من مدينة نابلس وريفها وغيرها إلى الفرار والقفز عن أسوار المدينة من هول الصدمة والمشهد<sup>(20)</sup>، الذين نجحوا - كما يبدو - في سرعة نشر أخبار ما تعرّض له سكان بيت المقدس من قتل وذبح وتشريد ، جعلت الصليبيين يعبرون عن هذا النصر " بأنهم خاضوا بخيولهم بدماء المسلمين حتى وصلت إلى ركبتها.<sup>(21)</sup>

### استسلام مدينة نابلس للصليبيين :

بطريقة أو بأخرى فقد كان أهالي مدينة نابلس وريفها يتابعون أولاً بأول أنباء ما كان يحلّ بالمدينة المقدسة من تشديد للحصار وتوجيه رسائل التهديد والوعيد لحاميتها، ثم ما جرى لآلاف من سكانها الأمنيين ومصادرة ما كان لديهم من ثروات مالية وعقارات وأملاك<sup>(22)</sup>، وما تمخّص عنها من تعميق لروح العداة والكراهية للسياسات الاستعمارية التي غرست كياناتها الغربية قهراً فوق الأرض العربية والإسلامية . فلم يجد الغيورون من نابلس بعد أن تولّد لدى أصحاب الرأي فيها بأنه لا بديل في ظل الظروف العصيبة الراهنة سوى البحث في سبل حماية مدينتهم وتجنّبها خطر ما تعرّضت له بيت المقدس ، فشكّلوا وفداً - دون أن تفصح المصادر التاريخية المتوافرة عن طبيعة هذا الوفد وعدده - حاملاً معه مفتاح المدينة إيداناً باستسلامها بالإضافة إلى تقديم الهدايا الثمينة إلى أصحاب النفوذ والقرار في الصفوف الصليبية<sup>(23)</sup> وفي مقدّمهم الأمير غودفري البويوني<sup>(24)</sup> الذي كان يشرف بنفسه على ترتيب الخطط ويتابع سير العمليات العسكرية وتنفيذها.

## د . جلال سلامة

إنّ القنّاعة التي تولّدت عند وجهاء أهالي مدينة نابلس بإعلان استسلامها - ليس تخلياً عن الثورة والمقاومة التي ستعاود نشاطها بقوة أشدّ عنفاً بعد سنوات قليلة من تمكن الصليبيين فيها - ، وإنما بسبب ضعف تحصيناتها<sup>(25)</sup> هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإنه كان يكمن خلف هذا القرار أمران مهمّان ؛ الأول هو امتصاص غضب وحنق القوات الصليبية وتعطشها إلى سفك دماء الأبرياء من الشيوخ والعلماء والنساء والأطفال الذي كان يلازمهم مع نشوة فرحهم بتحقيق رغبة البابا أربان الثاني UrbanII بأن " يسارعوا بسحق الجنس الخسيس - (أي سكان الأرض المقدسة) - من أراضينا"<sup>(26)</sup> . - على حدّ زعمه - .

أما الأمر الثاني فقد كان يهدف - كما يُعتقد - إلى تثبيت وجود سكان نابلس وريفها في بيوتهم وأماكنهم من الأراضي الزراعية ، وأن لا تواجه هذه المدينة المصير الذي واجهته المدن الأخرى التي تعرضت لعملية تطهير لأهاليها كالمدينة المقدسة - كما ذكرنا - وقيسارية<sup>(27)</sup> وغيرها ، فقد ورد على لسان السمعاني (ت 562هـ / 1167م) الذي زار قيسارية في أثناء خضوعها للحكم الصليبي قوله: " دخلتها يوم الجمعة وقت الصلاة فلم أجد بها من المسلمين إلا رجلاً واحداً وأهله ، واستولت عليه الفرنج "<sup>(28)</sup> .

وعدا عن ذلك كله ، فإنّ وجهاء نابلس وريفها كانوا يحرصون على حماية الأعداد الكبيرة من الفارين من انتقام الصليبيين وبطشهم ، فقد جاء على لسان الرحالة الألماني ثيودريش Theodirich الذي زار البلاد في الفترة الممتدة من عام 557-568هـ / 1162-1173م عن وجود أعداد كبيرة من سكان البلاد الأصليين في القرى المحيطة بمدينة نابلس وأنهم يمارسون حرفة الفلاحة وزراعة الأرض بمختلف المحاصيل الزراعية<sup>(29)</sup> .

وهكذا ، وبعد فترة وجيزة من خضوع المدينة المقدسة للحكم الصليبي طلب الأمير غودفري من تانكرد Tancred<sup>(30)</sup> ويوستاش البويوني Eustache of Bouion<sup>(31)</sup> التوجه نحو مدينة نابلس لتسليمها واخضاعها تحت سلطته استجابة لرغبة أهلها<sup>(32)</sup> .

### مقاومة أهالي نابلس في أثناء استيلاء الصليبيين على باقي المدن :

ولا بد أن هؤلاء اللاجئين وبخاصة الشباب منهم الذين فقدوا أراضيهم وممتلكاتهم وشرّدوا من ديارهم بالتعاون مع أهالي نابلس وريفها الذين أحسّوا بوطأة الحكم الصليبي قد أخذوا في بداية الأمر بتشكيل خلايا سرية ضاربة، بهدف إلحاق أكبر ضرر بالصليبيين وزعزعة الاستقرار والأمن في نفوسهم، وأنهم غرباء دخلاء على هذه البلاد<sup>(33)</sup> . وقد أشار المؤرخ الصليبي فوشيه الشارترى المعاصر للحملة الصليبية الأولى إلى هذه الحالة بقوله : "وقتل كثير من الفرنجة على أيدي الشرقيين المتربصين في الأزقة الضيقة على الطريق واختطف آخرون في أثناء

## المقاومة الشعبية في نابلس وريفها

التجوال بحثاً عن الطعام ، وكنت ترى فرساناً من أصل رفيع وقد أصبحوا مشاةً بعد فقد خيولهم<sup>(34)</sup>.

ومما ساعد سكان هذه المدينة على سرعة اتخاذ قرار المقاومة والمواجهة بعد أن بدأت الأمور تتضح وتتكشف لهم شيئاً فشيئاً، أن عدد الصليبيين الذين أقدموا على ارتكاب المجازر في بيت المقدس وغيرها قبيل وصول موجات جديدة من الصليبيين بعد نجاح الحملة الصليبية الأولى<sup>(35)</sup> لم يكن كبيراً. ومما يؤيد هذا الرأي ما ورد على لسان أحد المؤرخين الصليبيين الذين يشهدون على ذلك بعد استيلائهم على المدينة المقدسة بقوله: "وكان سكان قطننا قليلي العدد قلّة ملحوظة ، .... إذ إنهم كانوا أقل من أن يُشغلوا شارعاً من شوارعها"<sup>(36)</sup>.

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد كان على أصحاب القرار من الصليبيين مهمّة كبيرة تتمثل بالاستيلاء على المدن الأخرى سواء الداخلية منها كالخليل أو بيسان أو طبرية أو الساحلية كعكا وحيفا وقيسارية وأرسوف وعسقلان وغيرها<sup>(37)</sup> من المدن والمناطق التي كانت تشرف على الطرق والمسالك التي كانت تنطلق منها عمليات المقاومة المسلحة وتعيق الصليبيين استكمال مشروع بناء الدولة اللاتينية في الأرض المقدسة<sup>(38)</sup>، فقد وصف المؤرخ الصليبي وليم الصوري الأوضاع الأمنية في تلك الفترة بقوله : " ... ولم يكن ثمّ مسيحي يسير في الطريق العام دون أن يأخذ حذره الشديد ، وإلا لقي الهلاك على أيدي الشرقيين ، أو وقع في أيدي تسلّم للأعداء فيسترقونه"<sup>(39)</sup>. فتطلب هذا الأمر من الصليبيين سحب خيرة القادة والفرسان والجنود من البلدان التي وقعت في قبضتهم ، سواء بالعنف أو القوة أو دخولها سلماً، وفي مقدمتها نابلس ، حيث خرج منها القائد الصليبي تنكرد Tancred - الذي كان قد كلف بتسلّمها بناء على رغبة أهلها - على رأس قوّة سار بها باتجاه الشمال للمساهمة في القضاء على المقاومة التي كانت تنطلق من تلك المدن ثم بسط السيطرة الصليبية عليها<sup>(40)</sup>.

ولعلّ انشغال الصليبيين بعمليات فرض السيطرة والتوسع ، وتوزعهم في طول البلاد وعرضها ، وتأخر وصول إمدادات عسكرية جديدة من الغرب الأوروبي قد أعطى أهالي نابلس وريفها فرصة في مواصلة عمليات المقاومة والتصدي ومحاولة مساندة المقاومة في المدن والقرى التي توجهت نحوها القوات الصليبية بطريقة غير مباشرة ، فاتخذوا من الكهوف والمغاور المنتشرة في جبال المدينة وريفها وبخاصة الاستراتيجية منها ملاذاً ومعاقل لهم من أجل شلّ حركتها وتكبيدها خسائر ماديّة وبشرية جسيمة تعيق تنفيذ خططهم العسكرية<sup>(41)</sup>. أضف إلى ذلك ، فإن وجود رجال المقاومة - الذين كانوا يدركون مخاطر الإخلال بالاتفاق الذي توصل إليه وجهاء نابلس وريفها مع الأمير الصليبي غودفري - في تلك المواقع قد يجنب المدينة خطر إقدام

## د. جلال سلامة

الصلبيين على ارتكاب مجازر شنيعة بحق التجمعات السكانية ، كما جرى في المدينة المقدسة والمدن الأخرى .

وكما كان متوقفاً ، فقد أخذت المدن الداخلية والساحلية تسقط تباعاً بأيدي الصليبيين ويتم فرض السيطرة عليها - إلى حد ما - ، وتوالى وصول مساعدات مادية وبشرية كبيرة من الغرب الأوروبي سواء كانوا عسكريين أم مدنيين لحماية الإنجاز الذي تحقق لهم . ولذلك ، فقد كان لزاماً على السلطة الحاكمة في بيت المقدس تشديد قبضتها وضبط الأوضاع الأمنية باتخاذ إجراءات مشددة بحق أفراد المقاومة في نابلس وريفها<sup>(42)</sup> حتى يعيش القادمون الجدد فيها بأمن وسلام .

ومن هنا ، نجد أنّ المصادر التاريخية العربية والغربية المتوافرة تصمت عما كان يدور في هذه المدينة من أحداث وتطورات في هذه الفترة، ولكن يبدو أن حكام بيت المقدس وبخاصة بعد سقوط عكا أهم المدن الساحلية بأيديهم عام 497هـ/ 1104م<sup>(43)</sup> والتي قيل فيها " إذا صينت عكا ملك البحر وهلك الكفر وكانت على البلاد الساحلية قفلاً "<sup>(44)</sup> والتي جعلوا منها واحداً من أهم مراكز السيطرة على كل " الأراضي الفلسطينية "<sup>(45)</sup> قد دفعت بهم إلى تعيين حكام ذوي نفوذ وأصحاب قبضة حديدية وضعت أمام نصب عينيها مهمات عدة ، من بينها ملاحقة أفراد المقاومة ومراقبة تحركاتهم، فأخذوا يجندون لهذه الغاية عيوناً يتابعون نشاطاتهم ويرشدونهم إلى الكهوف والمغاور التي جعلوا منها مراكز تخطيط للهجوم على العدو وتهديد مصالحه، أو من خلال القبض على أفراد المقاومة، الذين أجبروا تحت وطأة التغذيب وقساوته التي وصلت إلى درجة الصلب لفترة طويلة وسمل العيون<sup>(46)</sup> والضرب المبرح . وإضافة إلى ذلك فإنه ليس من المستبعد أن هؤلاء الصليبيين كانوا قد لجأوا إلى محاولة أخرى أشد قسوة ومرارة تتمثل بإقدامهم على الاعتداء على شرف زوجاتهم وأخواتهم وبناتهم أمام أعينهم كما حصل في قيسارية عام 494هـ/ 1101م، حيث تعرضت النساء فيها لسوء المعاملة والسبي واتخاذهن جوارى وخادمات في منازل الأمراء والأغنياء من الصليبيين<sup>(47)</sup>، فكانت غيرة هؤلاء المقاومين وراء اضطرارهم إلى الاعتراف عن بقية أفراد المجموعة والمواقع التي يتواجدون فيها.

ولم يقف الأمر عند الصليبيين في هذه الفترة عند هذا الحد فحسب ، بل أقدم الملك بلدوين الأول - الذي خلف أخاه غودفري في سدة الحكم - على منح جزء كبير من نابلس عام 501هـ/ 1108م كإقطاعية لبائين دي ميللي<sup>(48)</sup> Payen de Milly الذي أجبر الفلاحين على فلاحه الأرض وزراعتها مقابل جزء محدد من محصول الأرض، إلى جانب الضرائب الإضافية التي كانت تقدّم للسيد الإقطاعي ثلاث مرات في السنة ، مما أدى إلى ازدياد حدة توتر العلاقات بين الجانبين - فإمعان المسؤولين الصليبيين في استخدام وسائل التعذيب الجسدي والقهر النفسي



## المقاومة الشعبية في نابلس وريفها

ومصادرة الحريات والتضييق الاقتصادي خلال عقد ونصف من الزمن أدى إلى تفجر مقاومة أكثر عنفاً وأشد ضراوة، وما لآزمها من ابتكار وسائل وأساليب مختلفة في عمليات التحدي والمواجهة التي عمّت مختلف أرجاء البلاد بما فيها نابلس وريفها ، ومن صور هذا التحدي ما اتخذه الفلاحون من قرار يقضي برفض أوامر الصليبيين بفلاحة الأرض وزراعتها. بل وصلت التضحية والشجاعة بأفراد المقاومة في مواجهة السياسة الصليبية إلى تدمير وحرق مساحات واسعة من الأراضي المزروعة بمختلف صنوف المحاصيل الغذائية<sup>(49)</sup>.

ووقف إلى جانب حراك الفلاحين في عصيانهم وتمردهم ، مجموعات من المقاومين التي تشكلت في مختلف المدن والقرى التي يقطن بها المستوطنون الجدد متخفين بالزي الصليبي ، فأخذوا يغيرون على ممتلكاتهم ويسلّلون ليلاً على بيوتهم ويقتلون من استطاعوا قتله من الصليبيين ويستولون على كل ما يقع بأيديهم من أموال وسلع<sup>(50)</sup> ومن المحتمل أن هؤلاء المقاومين كانوا يتولون توزيعها على الأسر الفقيرة واللاجئين في نابلس وقرائها ، الذين ذاقوا مرارة الجوع والحرمان بعد اقتلاعهم من أراضيهم وديارهم .

وقد ترك هذا النوع من المقاومة والكفاح آثاره الاقتصادية السلبية على الصليبيين في نابلس وغيرها من المدن والقرى التي استوطنوا وأقاموا فيها إلى درجة جعلت المؤرخ الصليبي وليم الصوري يصف الحالة التي آلت إليها أوضاعهم بقوله : "كانوا (أي سكان الأرض المقدسة ) يرفضون زرع الحقول عسى أن تفتك المجاعة بقومنا، بل إنهم كانوا يؤثرون أن يكابدوا هم أنفسهم الجوع حتى لا يصل القوت إلى المسيحيين الذين يعدّونهم أعداء لهم"<sup>(51)</sup>.

ولا نستبعد هنا أن القادة الصليبيين قد مارسوا أساليب الضغط والقهر، فضلاً عن السجن والتعذيب بصوره وأشكاله كافة ، ولكن هذا لم يحل دون إيجاد حل يصل إلى الحد الأدنى من مطالب الفلاحين كزيادة حصتهم من ناتج الأرض أو بعودهم بدراسة تخفيف جزء من الضرائب المفروضة عليهم ، ومما يؤيد هذا الرأي أن الوضع السياسي والاقتصادي كان قد وصل إلى درجة عالية من الخطورة، فلم يعد بمقدور الحاكم الاقطاعي في نابلس باين دي ميللي Payen de Milly السيطرة وإعادة الأمور إلى نصابها مما استدعى إلى عقد اجتماع كبير في المدينة عام 513هـ/1120م لمناقشة الأوضاع الاقتصادية والأمنية وأمور أخرى ، وتداعى إلى حضور جلسات هذا المؤتمر عدد من الأمراء ورجال الدين في المملكة منهم جرموند البيكيني Gormonnd of Piguigny بطريرك بيت المقدس ، وأفريمار رئيس أساقفة قيسارية وبرنارد أسقف الناصرة وأنتنتيوس أسقف بيت لحم ، وروجر أسقف اللد ورئيس دير القديسة مريم في

## د. جلال سلامة

وادي جوسفات ( وادي النار) وبلدوين سيد الرملة ورئيس كنيسة القيامة وغيرهم من الأمراء ورجال الدين<sup>(52)</sup>.

وقد توصل المؤتمرون في مؤتمرهم هذا إلى ضرورة وضع حلول للقضايا المطروحة، منها كيفية مواجهة الوضع الاقتصادي المتدهور الذي سببه إضراب الفلاحين وعصيانهم، فضلاً عن تعرض البلاد في تلك الفترة الحرجة لكوارث طبيعية وهزات أرضية وقدم أسراب الجراد التي زادت من تفاقم الأزمة الاقتصادية والزراعية،<sup>(53)</sup> إلى درجة "عزّ الخبز من كل البلاد"<sup>(54)</sup>. ومن بين القرارات الأخرى التي من شأنها تخفيف حدّة الهجمات الإسلامية تقديم كل من يُقبض عليه متلبساً بزي الصليبيين للقضاء والمحاكمة وإنزال أشد العقوبات بحقه<sup>(55)</sup>.

ولطالما صممت المصادر المتوافرة العربية منها والغربية عمّا آلت إليه الأوضاع في نابلس وريفها عقب انعقاد هذا المؤتمر ، فإننا نستطيع القول إن الصليبيين استطاعوا بالترغيب تارة وبالتهريب تارة أخرى ، ثم ازدياد أوضاع الفلاحين الحياتية سوءاً وصعوبة تدبير أمورهم بعد تخاذل العرب والمسلمين عن تقديم ما يمكنهم من الاستمرار في الصمود وإثارة الفزع والخوف بين المستوطنين الصليبيين قد أدت في نهاية الأمر إلى فتور المقاومة ثم توقفها لفترة امتدت إلى أكثر من عقدين من الزمن. ولكن هذا لم يحل دون قيام بعض سكان نابلس ببطولات فردية تعبيراً عن رفضهم للغزو الصليبي ووجوده فوق الأرض المقدسة ، فقد ورد على لسان أسامة بن منقذ الذي زار مدينة نابلس في أثناء وقوعها في قبضتهم أن رجلاً من المسلمين كان يحتال على الحجاج المسيحيين ويتعاون مع أمه على قتلهم ، وعندما كشف أمره تم القبض عليه واعتقاله وتكيله وسمل عينيه<sup>(56)</sup> ولا بد أن الصليبيين أصدروا أمراً بالتخلص منه بقتله.

### تواصل المقاومة ضد الصليبيين :

وبعد عقود ثلاثة من العصيان المدني ومرور خمسين عاماً أو يزيد على احتلال صليبي جثم فوق أرض سلبها بالقوة وفرض سيادته عليها والأمة العربية والإسلامية تنتازعها الخصومات والخلافات، تتعاقب الأجيال التي لم تتس بموت الكبار أن تُعيد الحق لأصحابه بحماسة يدعم قوتها وشدتها أمران إثنان : الأول ما كان يرد إليهم من أنباء إيجابية عن التحسن العسكري الذي بدأ يطرأ على بلاد المشرق الإسلامي والهزائم التي بدأت تترى في صفوف المعسكر الصليبي على يد القائد عماد الدين زنكي الذي قوّض الرّها الإمارة الصليبية الأولى عام 538هـ / 1144م<sup>(57)</sup> فكانت إيذاناً بترنح الكيان الصليبي ، وقرب نهايته<sup>(58)</sup> بعد فشل الحملة الصليبية الثانية على دمشق عام 542هـ / 1148م التي هدفت إلى الحد من نفوذ المسلمين واستعادة الرّها، إذ فقد الصليبيون عدداً كبيراً من عتادهم وتعرضوا لمهانة شديدة ، فانتعشت روح المسلمين في العالم الإسلامي<sup>(59)</sup>

## المقاومة الشعبية في نابلس وريفها

وتبددت الأسطورة التي جعلت فرسان الغرب الأوروبي قوة لا تقهر، وأخذ عود المقاومة في الأرض المقدسة يشند ويزداد رهبة وقوة ، ولم يعودوا - على حد قول وليم الصوري - "يقيمون وزناً لعساكر المسيحيين ولا يتأخرون عن مهاجمتهم"<sup>(60)</sup>.

أما الأمر الثاني ، فهو الدور التعبوي الذي وقع على عاتق العلماء والفقهاء في نابلس وريفها ، وبخاصة آل قدامة في قرية جماعين<sup>(61)</sup> الذين اتخذوا منها مركزاً وقاعدة لهم ، يدعون أهالي المدينة والريف من على المنابر وفي المناسبات الدينية والوطنية المختلفة إلى التمرد على سياسة الاضطهاد وفرض الضرائب الباهظة والوقاية من الحرب النفسية والاقتصادية<sup>(62)</sup>.

ويبدو أن دعوة هؤلاء العلماء لاقت استجابة كبيرة بين سكان الريف في نابلس، حيث أعلنوا تمردهم ورفضهم دفع الضرائب الباهظة على محاصيلهم الزراعية على الرغم من سياسة التنكيل التي لجأ إليها بلدوين - الابن الأكبر لبائين دي ميللي Payen de Milly والتي وصلت في كثير من الأحيان إلى حد السجن والتعذيب وتقطيع الأرجل والأطراف ، بل إن بعض الغزاة المعروفين بتعصبهم الديني والذي استولوا على مساحات واسعة من الأراضي الزراعية كانوا يعتمدون إجبار العمال المسلمين على العمل في أراضيهم الزراعية أيام الجمع والأعياد الدينية الإسلامية في محاولة منهم لثني المسلمين عن عصيانهم المدني وكسر اضراباتهم التي أضرت بالاقتصاد الصليبي<sup>(63)</sup>.

على أية حال وجدت دعوات هؤلاء العلماء والفقهاء صدقاً واسعاً بين أهالي القرى المجاورة ، كحيت<sup>(64)</sup> ومردا<sup>(65)</sup> وعوريف<sup>(66)</sup> حيث كان شيوخها وعلماؤها يأتون إلى جماعين ويحضرون حلقات العلم ويتلقون توجيهاتهم حول سبل مواجهة الغزاة والتمرد عليهم، فكثرت اتباع آل قدامة ، وبتوا يشكلون خطراً حقيقياً على الصليبيين مما دعاهم إلى وضع خطة ترمي إلى اعتقالهم وزجهم في السجن أو قتلهم والتخلص منهم<sup>(67)</sup>. وعندما علم آل قدامة وشيوخ القرى المجاورة بهذه الخطة ، كان قرارهم بالخروج سراً باتجاه مدينة دمشق السورية ليواصلوا نضالهم منها<sup>(68)</sup>.

ومع التطورات السياسية والعسكرية على ساحة المشرق الإسلامي في عهد نور الدين محمود خليفة والده عماد الدين زنكي الذي استطاع ضم مدينة دمشق - التي كانت تحت حكم البيت البوري وتستجد بالأعداء الصليبيين - إلى الجبهة الإسلامية التي أقامها في أطراف العراق وشمال بلاد الشام<sup>(69)</sup> ثم بعد ذلك ظهور صلاح الدين الأيوبي وسير المسلمين في تحقيق الوحدة<sup>(70)</sup>، وإرساء دعائم تلك الجبهة التي غدت تمتد من الفرات إلى النيل بعد سقوط الخلافة الفاطمية<sup>(71)</sup> وانتزاع السيادة على البحر من الغزاة الصليبيين بفضل الأسطول المصري الذي اتخذ

## د . جلال سلامة

قواعده في دمياط والاسكندرية وموانئ مصر الشمالية<sup>(72)</sup>، فلم "يعد البحر كما كان من قبل معبرا آمنا" على حد قول وليم الصوري<sup>(73)</sup>. بدأت تظهر بوادر جديدة في حركة المقاومة ضد الصليبيين في نابلس وريفها وغيرها من المدن وتمثلت بتأسيس مراكز للتدريب العسكري عرفت عند الصليبيين باسم "إيفيباية" Ephebiae<sup>(74)</sup> لتكون ذراعاً - كما يبدو للقوات الإسلامية والتدريب على كيفية ضرب المصالح الاقتصادية وتحطيم القوة الأمنية الصليبية من قلاع وحصون وإشاعة الفوضى بين صفوفها<sup>(75)</sup> فضلاً عن انضمامهم إلى صفوف معسكر السلطان صلاح الدين الأيوبي في أثناء استعداداته في حطين عام 583هـ / 1187م للمعركة التاريخية الفاصلة، حيث نجحت جيوش هذا القائد في تحطيم التحالف الصليبي - الأوروبي وهزيمة الصليبيين التي مهدت لانجلائهم من كل مدن وأرياف الأرض المقدسة<sup>(76)</sup>.

فلم تكذ تنتهي هذه المعركة حتى بدأ الصليبيون - بعد أن فقدوا الأمل بالإقامة في بلد ليست ملكاً لهم<sup>(77)</sup>، بالانسحاب منها ومغادرتها عندما أحسوا بأن الظروف لم تعد في صالحهم، فقد أخذ سكان نابلس وأريافها بمهاجمة المدينة واقتحام بيوت ومنازل الصليبيين المهجورة<sup>(78)</sup> "وغنموا ما وجدوه من الذخائر والمتاع وأوقعوا بضغائهم وضايقوا الحصون على أقوىائهم"<sup>(79)</sup>. وتمكنوا من بسط سيادتهم عليها وإعادتها إلى أصحابها الشرعيين قبل وصول القوات الإسلامية إليها بعد ثمانية وثمانين عاماً من الظلم والتعسف، وحرمانهم من أبسط حقوقهم بالعيش بكرامة<sup>(80)</sup>.

## الخلاصة :

ونخلص إلى القول أولاً إن المقاومة تولد مع الاحتلال الذي دأب على طرد السكان الأمنيين من بيوتهم وانتزاع ملكياتهم وتشريدهم في بلاد الغربة، ثم نراه يسارع مع بداية احتلاله للأرض إلى نعت المقاومين بكلمات تأباها النفس البشرية. كاللصوص وقطاع الطرق، وهي كلمات تحمل في طياتها معاني عدّة، فهم فئة قليلة خارجة عن القانون لا علاقة لهم بالمقاومة أو رفض الاحتلال بل إنهم يشكلون خطراً على أبناء جلدتهم، وهذا يذكرنا بإطلاق الصهاينة لفظة "المخربين" على المجموعات الفدائية مع بداية الاحتلال لفلسطين لإيهام شعبهم بأنه من السهل اجتثاثهم والتخلص منهم. وعدا عن ذلك كله، فإن فيها طمأنة للقادمين الجدد بأن الوضع في الوطن الجديد بات آمناً وخالياً من أية مقاومة.

ثانياً: إن المقاومة عبر التاريخ تمر بين مدّ وجزر وتتأثر بالأحوال والظروف السياسية المحيطة بها، وبخاصة أن الاحتلال يلعب دوره في تغذية الخلافات السياسية الدينيّة والطائفيّة ما يمكنه من

## المقاومة الشعبية في نابلس وريفها

تثبيت أركانها ويقضي على أية محاولة للمقاومة في مهدها، من خلال تجنيد العيون الذين يسخرون أنفسهم في خدمة المستعمر لقاء بعض الإغراءات المادية .  
ثالثاً: نجاح أي مقاومة وصمودها في وجه الاحتلال يتطلب السرية والتخطيط وحسن انتقاء من يقع عليهم مهمة مهاجمة المحتلين والغزاة سواء بالخطف أو القتل أو الإعلان عن المقاطعة والعصيان المدني ، وهذا ما انتهجته أية مقاومة قديماً أو حديثاً ، قبل أن تبدأ بالبحث عن سبل متنوعة وتبتكر وسائل جديدة في المقاومة تتلاءم والظروف الحياتية التي يعيشها السكان ومقدار الدعم والمساندة الذي تتلقاه من الجهات التي تؤيد حقوقها ولا تسمح للمستعمر بنعم بخيرات البلاد بأمان وحرية .

رابعاً: حاول المستعمر أو المحتل بالسبل المتاحة كافة من اعتقال وتعذيب وقتل وتهجير ، أن يخدم المقاومة أو يقلل من عنفوانها لسنوات قليلة ، لكنه لم ينجح في إزالة الحقد والكراهية من صدور الشعوب المحتلة وتصميمها على طرده وتطهير الأوطان من رجسه مهما طال الزمن .  
خامساً : اشترك جميع فئات المجتمع في التصدي وتحمل المسؤولية ، فهي لم تقع على عاتق الفلاحين ، فحسب بل يسهم فيها التجار من خلال مقاطعتهم للمتاجرة وتبادل البضائع والسلع مع المحتل والمغتصب للأرض والإنسان ، وكذلك العلماء والشيوخ الذين يقومون بدور تعبوي كبير من خلال تذكير الشباب بأهمية الفداء والتضحية من أجل تحرير البلاد وإعادة الحقوق المسلوقة لأصحابها الشرعيين .

سادساً : الشعوب بمقاومتها واستمرارها في التحدي والصمود تنفي فكرة " الكبار يموتون والصغار ينسون " التي يحاول المغتصب إشاعتها وترويجها ، بل نجد أن الأجيال المتعاقبة قد سارت على خطى أسلافها في مقارعة أعدائها، وأخذت شيئاً فشيئاً تقترب من تحقيق أهدافها في الحرية والاستقلال والاستئثار بخيرات الوطن بعد أن كان مرتعاً لأجناس وشعوب غريبة .

سابعاً : كان للمقاومة الشعبية في نابلس وريفها وباقي بلدان الأرض المقدسة دورها في بث الحماسة والحمية في نفوس الشعوب الإسلامية الأخرى التي أخذت تضغط باتجاه تحقيق الوحدة من أجل تخليص الناس من القهر والعبودية والظلم والدعوة إلى تحرير الأماكن المقدسة، إلى أن توجت بعماد الدين زنكي ونور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي الذي قاد الأمة في حطين عام 583هـ / 1187م نحو النصر والخلاص من نير احتلال صليبي ظل جاثماً فوق الأرض العربية ما يقارب ثمانية وثمانين عاماً ، فالحرية ثمنها الصبر والقدرة على التحمل وعدم اليأس مهما بلغت التضحيات، وسالت الدماء ونهبت خيرات البلاد، فالمستعمر في النهاية إلى زوال .

هوامش البحث :

- (1) الشارترى ، فوشيه . تاريخ الحملة إلى القدس ، ص32  
cf.also: Le Moine, R., Historia Iherosolymitana, pp 717- 720
  - (2) البابا أربان الثاني ، فرنسي الأصل ، ولد حوالي عام 433هـ/ 1042م من عائلة نبيلة واسمه الحقيقي أودو دي لاجري Ode de Lagery ونال حظاً وافراً من التعليم ، فقد أرسل إلى المدرسة الكاتدرائية في ريمز Reims ، ثم قرر أودو بعد ذلك الانضمام إلى جماعة كلوني وصار راهباً وأخذ يتدرج في المناصب الدينية حتى وصل إلى منصب البابوية عام 480هـ/1088م وكان حينئذ في السادسة والأربعين من عمره . عن ذلك ينظر : الشيخ ، محمد محمد موسى . عصر الحروب الصليبية ، ص92
  - (3) الشارترى ، فوشيه. المصدر نفسه ، ص36 .
  - (4) المصدر نفسه، ص33-35
  - (5) المصدر نفسه ، ص36. الصوري ، ولیم . الحروب الصليبية ، ج1، ص104
  - (6) شلبي ، أحمد . موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ج5 ، ص429.
  - (7) Robert de Rheims , "Historia Iherosolimitana", RHC , Occ , III , PP.727-730.
- يذكر أن هذا كان من بين حضور مجمع كليرمون عام 487هـ/ 1095م نقلاً عن قاسم ، عبده قاسم . ماهية الحروب الصليبية ، ص75 .
- (8) Thompson.Economic and social History , 1 , p.397.
  - (9) لمزيد من التفاصيل عن ذلك ينظر : مؤرخ مجهول . أعمال الفرنجة ، ص114. الشارترى ، فوشيه. المصدر نفسه ، ص67،112،115. الصوري ، ولیم . المصدر نفسه ، ج2، ص66.
  - Albert d'Aix . Hierosolymitana , pp.591-594.Raul de Caen. Gesta Tancredi , p.703.
  - الفيتري ، يعقوب . تاريخ بيت المقدس ، ص33-34. ابن القلانسي. تاريخ دمشق، ص222. ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ج9 ، ص19.
  - (10) الصوري ، ولیم ، المصدر نفسه ، ج2 ، ص180.
  - (11) لمزيد من التفاصيل عن هذه الانقسامات ينظر : الصوري ، ولیم. المصدر نفسه ، ج1، ص69-70.
- Lane-Pool. AHistory of Egypt , p.164.

## المقاومة الشعبية في نابلس وريفها

- (12) الشارترى ، فوشيه . المصدر نفسه ، ص112 .
- (13) ابن الأثير . المصدر نفسه، جـ9 ، ص12-20 .
- (14) مؤرخ مجهول . المصدر نفسه ، ص114 . الشارترى ، فوشيه . المصدر نفسه ، ص69-70 .
- Albert d'Aix. op.cit., pp.517-518. Raul de Caen. op.cit., p.703.
- (15) الشارترى ، فوشيه . المصدر نفسه ، ص108 . سايولف . رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس ، ص23 .
- (16) الصوري ، وليم ، جـ2 ، ص95 . الصنجيلي ، ريموند . تاريخ غزاة بيت المقدس ، ص237 .
- (17) الشارترى ، فوشيه . المصدر نفسه ، ص81-82 . الصوري ، وليم . المصدر نفسه ، جـ1، ص73-74 .
- (18) الشارترى ، فوشيه . المصدر نفسه ، ص70 .
- (19) ابن الأثير . المصدر نفسه ، جـ9 ، ص19 . مجهول . الاعلام والتبيين ، ص65 .
- (20) الشارترى ، فوشيه . المصدر نفسه ، ص75 . توديبود ، بطرس . تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس ، ص318-319 . cf also : Mayer , H.,The Crusades , p.61 .
- (21) الشارترى ، فوشيه . المصدر نفسه ، ص75 .
- (22) ابن الأثير . المصدر نفسه ، جـ9 ، ص19 . مجهول . الإعلام والتبيين ، ص65 . الشارترى ، فوشيه . المصدر نفسه ، ص75-76 . الصوري ، وليم . المصدر نفسه ، جـ2 ، ص135 .
- (23) Le Moine , Robert . op.cit. , p.871. Enlart , C.les Monumeniss des Croises , vol.2 , pp.282-283 .
- ينظر أيضاً : البيشاوي ، سعيد . نابلس ، ص46 .
- (24) غودفري البويوني : أحد قادة الحملة الصليبية الأولى ، وقد عرف بلقب دوق اللورين وقيل عنه أنه كان يمثل الفارس المسيحي بما تحمله هذه الكلمة من معنى ، فقد كان شديد الالتصاق بالفكرة الصليبية ، شديد التعلق بالكنيسة ، مؤمناً أشد الإيمان بوجود استرداد بيت المقدس . لمزيد من التفاصيل ، ينظر : الصوري ، وليم . المصدر نفسه ، جـ145-146 . فورزبورغ ، يوحنا وصف الأراضي المقدسة ، ص72 . حبشي ، حسن . الحرب الصليبية الأولى ، ص65-66 .

Grousset , R. , Histoire des Croisades , vol.1, p.169.

- (25) البيشاوي ، سعيد . المرجع نفسه ، ص46.
- (26) الشارترى ، فوشيه . المصدر نفسه ، ص36.
- (27) قيسارية : تقع على الساحل الفلسطيني على بعد 42كم جنوب غرب حيفا ، بناها الكنعانيون وأسموها "عبد عشتروت" ثم جدد بناءها في عهد الامبراطور الروماني هيرودوس الكبير وأطلق عليها اسم قيصريّة نسبة إلى قيصر الروماني ، استولى عليها الصليبيون عام 494هـ/1101م ينظر : شراب ، محمد . محمد . معجم بلدان فلسطين ، ص613. عوض ، محمد مؤنس . الرحالة ، ص58.
- (28) السمعاني . الأنساب ، ج4 ، ص 575.
- (29) ثيودريش . وصف الأماكن المقدسة ، ص13، 125.
- (30) تانكرد هو أحد الأمراء النورمان القادمين من ايطاليا ، تفوق في استخدام السلاح والشجاعة العسكرية. عن ذلك ينظر :
- Raoul de Caen .Gesta Tancredi , pp.605,705.
- (31) يوستاش البويوني : هو الأخ الأكبر للامير جودفري ، شارك في الحملة الصليبية الأولى ثم عاد إلى بلاده بعد انتهائها. عن ذلك ينظر : الصوري ، وليم ، ج2 ، المصدر نفسه ، ص167.
- (32) البيشاوي ، سعيد . نابلس ، ص47-48.
- (33) الصوري ، وليم ، المصدر نفسه ، ج2 ، ص180.
- cf.also : Praver , J., Wes confronts east , p.15.
- (34) الشارترى ، فوشيه. المصدر نفسه ، ص81-82.
- (35) المصدر نفسه ، ص111.
- (36) الصوري ، وليم . المصدر نفسه ، ج2 ، ص 180 .
- (37) لمزيد من التفاصيل عن ذلك ينظر : الشارترى ، فوشيه . المصدر نفسه ، ص113 ، 114، 131،
- Albert d'Aix., op.cit , pp.517-524. Mayer, H., The Crusades , p.339.
- سايلوف . المرجع نفسه، ص42 . الصوري ، وليم . المصدر نفسه ، ج2 ، ص368 . رينشارد ، جان . تكوين مملكة بيت المقدس ، ص 149.
- Roul d'Caen . op.cit., p.703. Conder . The Latin Kingdom , p.115.
- (38) عن هذه المقاومة ينظر : Albert d'Aix., op.cit., pp. 522-523.



## المقاومة الشعبية في نابلس وريفها

- Grousset , R., op.cit., vo.l, .115-114، ص المصدر نفسه ، فوشيه .  
p200.
- الصوري ، وليم . المصدر نفسه ، جـ2 ، ص220-221. سلامة ، جلال . الاسيطن الصليبي ، ص111-115 ، 145.
- (39) الصوري ، وليم .المصدر نفسه ، جـ2 ، ص180.
- (40) ريتشارد ، جان . المرجع نفسه ، ص149. سلامة ، جلال . المرجع نفسه ، ص99.
- (41) الشارترى ، فوشيه . المصدر نفسه ، ص108 . الصوري ، وليم . المصدر نفسه ، جـ2 ، ص308.
- (42) البيشاوي ، سعيد . المرجع نفسه ، ص78.
- (43) ابن القلانسي . تاريخ دمشق ، ص232. ابن الأثير . المصدر نفسه ، جـ9 ، ص72.
- (44) الاصفهاني . الفتح القسي ، ص208 .
- cf . also : Stevenson , W.R., The Crusades , p.249.
- (45) مونروند ، مكسيموس . تاريخ الحروب المقدسة ، مج1 ، ص222. السيد ، علي . أمانة الجليل ، ص206-207 .
- (46) ابن منقذ ، أسامة . كتاب الاعتبار ، ص139-140 .
- (47) الشارترى ، فوشيه . المصدر نفسه ، ص115.
- cf . also: Stevenson , W.R., op.cit., p.249.
- (48) يابن دي ميللي : ينتمي لإحدى الأسر النبيلة التي استقرت في فلسطين بعد استيلاء الصليبيين عليها، وترجع أسرة ميللي في أصلها إلى العنصر الفلمنكي (سكان بليجكا) عن ذلك ، ينظر :
- King , E., The Kingths Hospitalers ,p.139. Richard , J.,vol.1, p.73.  
Benvenisti , M., op.cit., p.213. (49)
- (50) الصوري ، وليم . المصدر نفسه ، جـ2 ، ص180 .
- Grousset , R., op.cit. vol.1, p.181.
- (51) الصوري ، وليم . المصدر نفسه ، جـ2 ، ص180.
- (52) المصدر نفسه ، جـ2 ، ص357 - 358.
- (53) العريني ، السيد الباز ، الشرق الأوسط ، جـ1 ، ص352.
- Michaud , M. , History of the Crusades , vol.3, pp.367-369.

د. جلال سلامة

- (54) الصوري ، وليم .المصدر نفسه ، جـ2 ، ص357.
- (55) Praver , The Latin Kingdom , p.519 .Michand , M.,op.cit , vol.3 ,pp.367-369.
- (56) ابن المنقذ ، أسامة . المصدر نفسه ، ص139-140 .
- (57) ابن القلانسي . ذيل تاريخ دمشق، ص280 .
- Stevenson , W.B. , op. cit., pp.150-151.
- (58) ابن القلانسي . المصدر نفسه، ص280. ابن العديم . زبدة الحلب ،جـ2 ، ص279.
- الصوري ، وليم . المصدر نفسه ، جـ3 ، ص235.
- cf . also : Grousset , R., op.cit ., vol.2 , pp.177-178. Stevenson , op.cit., p.158.
- Grousset .op.cit ., vol.2 , pp.270-271. (59)
- (60) الصوري ، وليم . المصدر نفسه ، جـ3 ، ص322. عاشور ، سعيد . الحركة الصليبية ، جـ2، ص636.
- (61) تقع قرية جماعين إلى الجنوب الغربي من نابلس وعلى بعد 16 كم منها . شراب ، محمد محمد . المرجع نفسه ، ص268—269
- (62) ابن طولون . القلائد الجوهريّة ، ق1 ، ص68.
- (63) Mayer , H., op.cit ., pp.177-178.
- البيشاوي ، سعيد . المصدر نفسه ، ص175.
- (64) جيت : تقع في الجنوب الغربي من نابلس ، وعلى بعد 12كم منها . الدباغ ، مصطفى مراد . بلادنا فلسطين ،جـ2 ، ق2 ، ص354.
- (65) مردا : تقع جنوب قرية جماعين ، وعلى بعد 2كم منها . شراب ، محمد محمد . المرجع نفسه ، ص656.
- (66) عوريف : تقع إلى الجنوب من نابلس وعلى بعد 13 كم منها . الدباغ . مصطفى مراد . المرجع نفسه ، جـ2 ، ق2 ، ص362 .
- (67) ابن طولون . المصدر نفسه ، ق1 ، ص68.
- (68) المصدر نفسه ، ق1 ، ص70-73 .
- (69) ابن واصل . مفرج الكروب ، جـ1 ، ص88.
- Stevenson , W.R., op.cit., p.196. (70)
- (71) ابن واصل . المصدر نفسه ، جـ1 ، ص195. عاشور ، سعيد . المرجع نفسه ،جـ2

## المقاومة الشعبية في نابلس وريفها

- ص705.
- (72) ابن الأثير . التاريخ الباهر ، ص143.
- (73) الصوري ، وليم . المصدر نفسه ، ج4 ، ص113-115.
- (74) بورشارد . وصف الأرض المقدسة ، ص172-173. سلامة ، جلال . المرجع نفسه ، ص211.
- (75) سلامة ، جلال . المرجع نفسه ، ص211.
- (76) الاصفهاني . المصدر نفسه ، ص76-80. ابن شداد . النوادر السلطانية ، ص121-123 . ابن الأثير . المصدر نفسه ، ج10 ، ص146-148.
- Eracles . L'Estoire d'Eracles , pp.63-64.
- Richard , J., op.cit ., vol.1, p.177. Benvenisti , M.,op.cit , p.164. (77)
- Grousset , R., vol.2, p.806. .127. البيشاوي ، سعيد . المرجع نفسه ، ص127. (78)
- (79) البنداري . سنا البرق الشامي ، ص302. أبو شامة . الروضتين ، ج2 ، ص88.
- Richard , J., op.cit., vol.1, p.181. (80)

## مصادر ومراجع البحث

### أولاً: المصادر بالعربية:

\* مجهول :

- الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاحين على ديار المسلمين ، تحقيق وتقديم : سهيل زكار ، ( مكتبة دار الملاح ، 1401هـ / 1981م ) .
- \* ابن الأثير ( ت 630هـ / 1232م ) عز الدين أبو الحسن على بن أبي الكرم بن عبد الواحد .
- \* الشيباني الجزري:
- الكامل في التاريخ ، 10 أجزاء ، ( دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، 1407هـ / 1987م).
- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل ، تحقيق ونشر عبد القادر طليمات ، 1963م .
- \* الأصفهاني ( ت 597هـ/1201م ) ، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد .
- الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق : محمد محمود صبح ، ( القاهرة ، 1965م ) .
- \* البنداري ، ( ت622هـ/1225م ) الفتح بن علي بن محمد .

## د. جلال سلامة

- سنا البرق الشامي، تحقيق : فتحية النبراوي، ( القاهرة ، 1979م).
- \* السمعاني (ت 562هـ / 1167م ) ، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي .  
الأنساب ، 5 أجزاء ، تقديم وتعليق : عبد الله عمر البارودي ، ( دار الجنان ، بيروت ، ط1 ،  
1408هـ/1988م).
- \* أبو شامة (ت665هـ/1269م) عبد الرحمن بن إسماعيل بن عثمان بن شهاب الدين .  
الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، جزءان ، ( بيروت ، د.ت) .  
\* ابن طولون ( ت 953هـ/1553م) محمد بن علي الصالحي .  
القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحيّة، جزءان ، تحقيق : د.محمد أحمد دهمان ، ( دمشق ،  
1949م) .
- \* ابن العديم الحلبي ( ت 660هـ/1262م) كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة  
المقيلي . زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق : سامي الدهان ، ( بيروت ، 1904م).
- \* ابن القلانسي (ت 555هـ / 1160م) ، أبو يعلى حمزة بن أسد بن محمد .  
تاريخ دمشق ، تحقيق : د.سهيل زكار ، دار حسان للطباعة والنشر ، دمشق ، 1983م ).
- \* ابن منقذ ، أسامة ( ت 584هـ/1188م) مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد .  
كتاب الاعتبار ، تحقيق : فيليب حتي ، ( الولايات المتحدة الأمريكية ، برنستون ، 1930م ) .
- \* ابن واصل (ت 697هـ/1298م) جمال الدين محمد بن سالم .  
مفرّج الكرب في أخبار بني أيوب ، ج1-3 تحقيق : جمال الدين الشيال ، ( القاهرة ، 1953م  
- 1960م) ، ج4-5 ، تحقيق : محمد حسنين ربيع ، القاهرة ، 1972م-1977م).

## ثانياً: المصادر الأجنبية المعرّبة وغير المعرّبة :

### أ- المعرّبة :

\* مجهول:

أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة : د.حسن حبشي ، ( القاهرة ، 1958م).

\* بورشارد:

وصف الأراضي المقدسة ، ترجمة د.سعيد البيشاوي ، ( دار الشروق ، عمان ، 1995م) .

\* توديبود ، بطرس:

تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس ، ترجمة : د.حسين محمد عطية، ( دار المعرفة الجامعية، ط1،

1998).

## المقاومة الشعبية في نابلس وريفها

\* ثيودريش:

وصف الأماكن المقدسة في فلسطين ، ترجمة وتحقيق : سعيد البيشاوي ورياض شاهين، ( دار الشروق، رام الله ، ط1، 2003م ).

سايلوف:

رحلة الحاج سايلولوف لبيت المقدس والأراضي المقدسة 1102م-1103م، ترجمة : د.سعيد البيشاوي، (دار الشروق ، عمان ، ط1، 1997م ) .

\* الشارترى، فوشيه .

تاريخ الرحلة إلى القدس 1095م-1127م ، ترجمة : د.زياد العسلي، ( دار الشروق، ط1، 1990م )

\* الصنجيلي ، ريموند :

تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ترجمة : د.حسين محمد عطية ، ( دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط1، 1989م ) .

\*الصوري ، وليم .

الحروب الصليبية 1094م-1184م ، 4 أجزاء ، ترجمة : د.حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ، 1994م-1995م.

\* الفيتري ، يعقوب :

تاريخ بيت المقدس، ترجمة : د.سعيد البيشاوي ، ( دار الشرق ، عمان ، ط1، 1998م).  
فورزبورغ ، يوحنا :

وصف الأراضي المقدسة في فلسطين ، ترجمة : د.سعيد البيشاوي، ( دار الشروق، رام الله ، ط1، 1997م ) .

ب - غير المعربة :

Albert d'Aix :

Historia Hierosolymitana , ed : R.H.C-H.Occ., tome Iv, (Paris, 1879, pp.256-713).

Eracles :

L'Estoire d'Eracles Emperwer et de Conquest de la Terre d'Outremer, in R.H.C-H. Occ., tome II , ( Paris , 1859) , pp.1-481.

Raoul de Caen :

Gesta Tancredi in Expeditione Hierosolymitana , ed .R.H.C-H. Occ., tome III, (Paris, 1866) , pp.587-716.

Robert Le Moine :

Historia Iherosolimotana , ed.R.H.C-H.Occ., tome III , (Paris,1866),pp.717-882.

Robert de Rheims:

"Historia Iherosolimitana", R.H.C , Occ.III

### ثالثاً: المراجع العربيّة :

- \* البيشاوي ، سعيد عبد الله :  
نابلس الأوضاع السياسية والإجتماعية والثقافية والإقتصادية في عصر الحروب الصليبية  
عام 492-690هـ / 1099-1291م ، ( ط1 ، 1411هـ/1991م).  
\* حبشي ، حسن :  
الحرب الصليبية الأولى ، ( ط ، 1958م ) .  
\* الدباغ ، مصطفى مراد :  
بلادنا فلسطين ، 10 أجزاء ، ( دار الهدى ، كفر قرع ، 1991م ) .  
\* شرّاب ، محمد محمد :  
معجم بلدان فلسطين ، ( دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط1 ، 1987م ) .  
\* شلبي ، أحمد :  
موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ج5 ، ( مكتبة النهضة المصرية ، ط2 ،  
1975م).  
\* الشيخ ، محمد محمد مرسي :  
عصر الحروب الصليبية في الشرق ، ( 2001 ) .  
\* عاشور ، سعيد :  
الحركة الصليبية ، جزآن ، ( ط ، 1963م ).  
\* العريني ، السيد الباز :  
الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج1 ، ( القاهرة ، 1963م ) .  
\* عوض ، محمد مؤنس :  
الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية ، ( مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1992م ) .  
\* قاسم ، عبده قاسم :  
ماهية الحروب الصليبية ، ( سلسلة عالم المعرفة ، عدد 149 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ،

## المقاومة الشعبية في نابلس وريفها

الصفاء- الكويت ، 1990م ) .

### رابعاً: المراجع الأجنبية:

Benvenisti , M., :

The Crusaders in the Holy Land , ( Jerusalem , 1970 ) .

Conder. The Latin Kingdom of Jerusalem , 1099-1291, A.D.London , 1897.

Duncalf :

The Council of Piacenza and Clermont , ed.Sehon .

Enlart , C., :

Les Monuments des Croises dans Le Royaume de Jerusalem , ( Paris , 1928).

Grousset , R., :

Histoire des Croisades et du Royaum France de Jerusalem , 3vol., ( Paris, 1948).

King , E., :

The Knights Hospitalers in the Holy Land , ( London , 1931) .

Mayer , H., :

The Crusades , ( Oxford University , 1972 ) .

Michaud , M., :

History of the Crusades , 3vol. trans. from the original by W.Robson, ( London , 1825)

Praver , J., :

The Latin Kingdom of Jerusalem , ( Jerusalem , 1972) .

Stevenson , W.R., :

The Crusaders in the East , (Beirut , 1968) .

Thompson :

Economic and Social History of the Middle Ages , ( London , 1959).

### خامساً: المقالات :

Praver , J., :

"Wes Confronts east in the Middle Ages" B.I.A.C., vol.XII , (1989).